

نخرج الى المديح من غير أن يكون هناك له سبب من  
الأسباب كما ترى ، ومن ذلك ما قاله أبو نواس في قصيدته  
التي مطلعها قوله ( يَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدِّمَنِ ) فضعمتها غزلاً  
كثيراً ثم قال بعد ذلك

تضحكُ الدنيا الى ملكٍ \* قامَ بالآثارِ والسننِ  
سنَّ للناسِ الندى فندوا \* فكانَّ المحلَّ لم يكنِ  
وأكثر مدائح أبي نواس مؤسَّسةٌ على الاقتضاب من  
غير ذكر التخلص وفيما ذكرناه كفاية عن ابانة التخلص  
والاقتضاب فهذا ما اردنا ذكره فيما يختص بالدلائل المركبة  
وهو الباب الثالث

## الباب الرابع

( من فن المقاصد في ذكر انواع علم البديع وبيان أقسامه )

اعلم أن ما أسلفنا ذكره في الباب الأول إنما هو كلامٌ  
فيما يتعلق بكيفية الوضع ، إما في الأصل فيكون حقيقة ، أو  
في غيره فيكون مجازاً ، والباب الثاني إنما هو كلام في الدلائل  
من جهة الالفاظ الإفرادية ، والباب الثالث إنما هو كلام في

الدلالات المركبة ، وأمّا الباب الرابع فأنما هو كلام فيما يعرض  
لجوهر اللفظ من الألقاب بحسب تأليفه ، لا من جهة دلالاته  
على معناه ، وإنما دلالاته على معناه تابعةٌ لذلك ، وهذا هو  
الذي يلقب بعلم البديع في السنة علماء البيان ، وينقسم الى ما  
يكون متعلقاً بالفصاحة اللفظية ، والى ما يكون متعلقاً  
بالفصاحة المعنوية ، فهذان نمطان نذكر ما يتعلق بكل واحد  
منهما بمعونة الله تعالى

### ( النمط الاول )

( ما يتعلق بذكر الفصاحة اللفظية وبيانها )

اعلم أنّا قد ذكرنا أنّ الفصاحة من عوارض الألفاظ ،  
وأنّ البلاغة من عوارض المعاني ، ومنهم من قال أنّهما  
مستويتان دالتان على مقصود واحد فلا يكون الكلام  
فصيحاً الا وهو بليغ ، ولا يكون بليغاً الا وقد حاز الفصاحة ،  
ومنهم من زعم أنّ الفصاحة أعم من البلاغة فالكلام يوصف  
بالفصاحة وإن لم يكن بليغاً ، ولا يعقل كون الكلام بليغاً  
الا مع كونه فصيحاً ، والامر في ذلك قريب ، خلا أنّ أكثر  
أهل البلاغة قائلون بأنهما مقولان على جهة الترادف أعني

البلاغة والفصاحة ، وإلى هذا ذهب الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، والأقلون على أن البلاغة من أوصاف المعاني والفصاحة من وصف الالفاظ ، وهذا هو الأقرب كما قررناه في أول الكتاب فلا وجه لتكريره ، فإذا عرفت هذا فلنذكر ما يتعلق بالفصاحة اللفظية من علم البديع وهو مشتمل على أصنافٍ عشرين ، نذكرها بأمثلتها بمشيئة الله تعالى

### ( الصنف الأول )

#### ( التجنيس )

وهو تفعيل من التجانس وهو التماثل ، وإنما سمي هذا النوع جناساً لأن التجنيس الكامل أن تكون اللفظة تصلح لمعنيين مختلفين فالمعنى الذي تدل عليه هذه اللفظة هي بعينها تدل على المعنى الآخر من غير مخالفة بينهما ، فلما كانت اللفظة الواحدة صالحةً لهما جميعاً كان جناساً ، وهو من أطف مجازي الكلام ومن محاسن مداخلة ، وهو من الكلام كالفرّة في وجه الفرس ، فالجنس في اللغة هو الضرب من الشيء وهو أعم من النوع ، والمجانسة المائلة ، وسُمّي هذا النوع جناساً لما فيه من المائلة اللفظية ، وزعم ابن دريد أن

الأصمعيّ يدفع قول العامة هذا مجانسٌ لهذا ويقول إنه مولدٌ ،  
وحقيقته في مصطلح علماء البيان هو أن يتفق اللفظتان في  
وجهٍ من الوجوه ويختلف معناهما ، فما هذا حاله عامٌّ في  
التجنيس التام ، والتجنيس الناقص ، ثم إنه ينقسم قسمين  
نُورد ما يتعلق بكل واحد منهما بأمثلته بمعونة الله تعالى

( القسم الاول )

( التجنيس التام )

ويقال له المستوفى ، والكامل ، وهو أن تتفق الكلمتان  
في لفظها ، ووزنهما ، وحركاتهما ، ولا يختلفان إلا من جهة  
المعنى ، وأكثر ما يقع في الالفاظ المشتركة ، ومثاله من  
كتاب الله تعالى ( ويومَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا  
لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ) وليس في القرآن من التجنيس الكامل الا  
هذه الآية ، فالساعة الاولى عبارة عن القيامة ، والساعة  
الثانية هي واحدة الساعات ، لكنهما اتفقا لفظاً فلهذا كان  
جناساً تاماً ، ومن السنة النبوية قوله صلى الله عليه وآله : لما  
نازع الصحابةُ جريرَ بن عبد الله في أحدٍ زمام ناقة الرسول  
صلى الله عليه وسلم أَيُّهُمْ يَقْبِضُهُ ، فقال عليه السلام خلوا بين

جَرِير ، والجَرِير ، لا يُقال كيف يكون ما ذكرتموه من الكتاب والسنة مثلاً للتجنيس التام مع اختلافهما في التعريف والتكثير ، لأننا نقول هذا فيه وجهان ، أحدهما أن يقال إنه لم يقع الاختلاف الا في لام للتعريف وهي زائدة ، وما هذا حاله فليس مُغَيَّرًا للتمثيل ، وثانيهما أن يقال كما أن اختلاف الحركة يُبطل جعله من التجنيس التام فهكذا زيادة الحرف تُخرجه عن التجنيس التام أيضا ، والحق أنه معدود منه ، وأنشد ابن الأثير لأبي تمام قال  
فأصبحت غررُ الأيام مشرقةً

بالنصر تضحكُ عن أيامك الغررِ

فعدّه تجنيساً تاماً مع أن الأول مضاف والثاني معرف

باللام ، ومن ذلك ما قاله ايضا

ما مات من كرم الزمان فإنه \* يحيى لدى يحيى بن عبد الله  
ومنه قولهم : لولا اليمينُ لقبلتُ اليمينَ ، فاليمين الاولى

الألية ، واليمين الثانية هي الجارحة ، ومنه قولهم : ما ملأ الراحة  
من استوطن الراحة ، فالراحة الاولى هي الجارحة ، والراحة  
الثانية هي نقيض الشقاء ، وقد أكثر من هذا النوع أبو تمام

فأحسن فيه كل الاحسان ومنه قوله

إذا الخيلُ جَابَتْ قَسَطَلِ الحَرْبِ صَدَعُوا  
صُدُورَ العَوَالِي فِي صُدُورِ الكِتَابِ  
ومن ذلك ما قاله أبو جعفر النامي  
لشؤونِ عيني في البكاءِ شُونَُ  
وجفونُ عينيكَ للبلاءِ جفونُ  
ومن أحسن ما وجدته في ذلك للشاعر المعروف بالمغربي  
وقد أكثر منه

لو زارنا طَيْفُ ذاتِ الخَالِ أحيانا  
ونحنُ في حُفْرِ الأجداتِ أحيانا  
تقول أنتِ امرؤُ جَافٍ مُعَالِطَةً  
فقلت لا هَوَمَتِ أجفانُ أجفانا  
لم يبق غيركِ انساَنٍ يلاذُ به  
فلا برحتِ لعينِ الدهرِ إنسانا  
فالكلمتان كما ترى في هذه الأمثلة لا اختلاف فيها  
الا من جهة المعنى ، يستويان في الانتظام في الحروف ،  
والحركات ، كما ترى وله أمثلة كثيرة

\* القسم الثاني \*

(من التجنيس)

ويقال له الناقص ، والمشبّه ، وهو يأتي على أنحاء مختلفة ،  
وحاصله أنه يتطرف إليه الاختلاف بوجه من الوجوه كما تراه ،  
وهو يأتي على ضرب عشرة

(الضرب الاول)

يلقب بالمختلف ، وما هذا حاله يكون اختلافه بالحركات  
لا غير ، فأما الاحرف فيه فاتها متماثلة ، ومثاله قولهم :  
لا تُنالُ الغُررُ ، الأبركوب الغرر ، وقولهم : البدعةُ شركُ  
الشرك ، وقولهم : الجاهلُ إما مفرط أو مفرط ، وقد وقع في  
الحريّيات كقوله ، فلما استأذنه في المراح الى المراح على  
كاهل المراح ، فقد وُجد في الميم ثلاث حركات كما ترى ،  
ومنه قوله نظما

فقلت للائمى أقصر فانى \* سأختارُ المقام على المقام

(الضرب الثاني)

المختلف بالأحرف وتتفق الكلمتان في أصل واحدٍ

يجمعهما الاشتقاق ، وما هذا حاله يقال له المطلق ، ومثاله قول

جرير

فما زال معقولاً عقالٌ عن الندى

وما زال محبوساً عن المجدِ حابسٌ

وانما سُمي مطلقاً لأنه لما كانت حروفه مختلفة ولم يُشترط

فيه أمرٌ سواه قيل له مطلق

(الضرب الثالث)

ان لا يجمعهما الاشتقاق لكن بينهما موافقةٌ من جهة

الصورة مع أن إحداهما من كلمتين ، والأخرى من كلمة

واحدة ، وما هذا حاله يُلقَّب بالمركب لما يظهر فيه من أحد

الشقين من التركيب ، ثم هو على وجهين ، الوجه الاول أن

يكون متشابهاً من جهة اللفظ لا من جهة الخط ، وما هذا

حاله يُقال له المفروق ، ومثاله قولهم من ظلم نَمَلَهُ ، فَنَمَّ لَهُ ،

وقولهم لا تَقْعُدْ تَحْتَ رِقِّ ، تَحْتَرِقْ ، وفي الحريريات : أَرَمَعْتُ

الشخوصَ من بَرَقَعِيدَ ، وقد سَمِعْتُ بَرَقَ عِيدَ ، ومن النظم ما

قاله البُستِيُّ

إذا ملكٌ لم يكن ذاهبُهُ فدَعَهُ فدَوَّلَتْهُ ذاهِبُهُ

ومن ذلك ما قاله بعضهم  
وكم لجباه الراغبين لديه من مجال سجود في مجالس جود  
وفي الحريريات فمخرابي أحرى بي، وأسمالي أسمى  
لي، وقول بعضهم فهمنا لما فهمنا، فالأول من الهيام والثاني من  
الفهم، الوجه الثاني أن تكون المشابهة بينهما من جهة اللفظ  
والخط، وما هذا حاله فإنه يُلقَّب بالمرْفُو، وإنما لُقِّب به لأن  
المقصود هو الجمع بين كلمتين، أحدهما أقصر من الأخرى،  
فيُضم إلى القصيرة ما يُوازي الكلمة ويرفوها بذلك حتى يعتدل  
رُكْنَا التجنيس، ومثاله قول بعض البلغاء: يا مغرورُ أمسك،  
وقس يومك بأمسك، فزيدت كاف الضمير في الثانية من أجل  
أن تساوى الأولى ومن ذلك قول البستي

فهِمْتُ كِتَابَكَ يَا سَيِّدِي  
فهِمْتُ وَلَا عَجَبٌ أَنْ أَهِيماً

ومن ذلك ما قاله ايضاً  
إذا مَلَكَ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَهُ فَدَعَهُ فَدَوْلَتَهُ ذَاهِبَهُ  
ومنه قول بعضهم فهمنا لما فهمنا، فاللفظتان متساويتان  
من جهة لفظهما وخطهما، وما أوردناه من هذه الامثلة أمثلة

المرفوء، في المرفوق، فإتما كان على جهة الذهول والنسيان والحقيقة  
أنها أمثلة المرفوء

( الضرب الرابع )

المذيل ، بالذال المعجمة ، وهو أن تجيء الكلمتان  
متجانستى اللفظ متفتتى الحركات والزنة ، خلا أنه ربما وقع  
بينهما مخالفة ، ثم تلك المخالفة على وجهين ، الوجه الأول  
منهما أن تختص إحدى الكلمتين بحرف يخالف الأخرى  
من عجزها ، ومثاله قولهم فلان سال من أحزانه ، سالم من  
زمانه ، حام لعرضه ، حامل لعرضه ، فأخر سال ياء ، وآخر  
سالم ميم ، مع اتفاقهما فيما عدا ذلك من الحروف والحركات ،  
ومن ذلك ما قاله أبو تمام

يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ  
تصُولُ بأسِيافٍ قواضٍ قواضبٍ  
فآخرُ عواصٍ ياءٌ ، وآخرُ عواصمٍ ميمٌ ، وآخرُ قواضٍ ياءٌ  
وآخرُ قواضبٍ الباء ، ومن ذلك ما قاله البحترى  
لئن صدفتُ عنا فرُبَّتْ أنفُسُ  
صَوَادٍ إلى تلك النفوسِ الصَوَادِفِ

فآخرُ صَوَادٍ هي الياء ، وعجزُ صَوَادِفِ الفاء ، مع اتفاقهما  
فيما عدا ذلك ، الوجه الثاني أن تختلف الكلمتان من أولهما ،  
ومثاله قوله تعالى ( وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ  
الْمَسَاقُ ) فلم يختلف الساق والمساق إلا بزيادة الميم في المساق ،  
ومن ذلك ما وقع في الحريريات قوله : يَسْخُوبُ بِمَوْجُودِهِ وَيَسْمُو  
عند جُودِهِ ، فلم يختلفا في نظم ولا زِنَةٍ إلا بزيادة الميم في  
موجوده ، والواو أيضا ، وقوله أيضا نظما

لم يبق صَافٍ وَلَا مُصَافٍ \* وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ  
فلم يختلف صَافٍ ، وَلَا مُصَافٍ إلا بزيادة الميم لا غير ،  
ومن ذلك ما أنشده الشيخ عبد القاهر الجرجاني

وَكَمْ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَى عَوَارِفُ

ثَنَانِي مِنْ تِلْكَ الْعَوَارِفِ وَارِفُ

وَكَمْ غَرَّرَ مِنْ بَرِّهِ وَلَطَائِفِ

لشكري على تلك اللطائفِ طَائِفُ

وقد يلقب ما ذكرناه بالتجنيس الزائد والناقص كما مر

تقريره بالأمثلة

(الضرب الخامس)

(المزدوج)

وهو أن تأتي في أواخر الأسجاع في الكلام المنشور ،  
أوالقوافي من المنظوم ، بلفظتين متجانستين ، إحداهما  
ضميمةٌ الى الأخرى على جهة التتمة والتكملة لمعناها ، ومثاله  
من النثر قولهمُ : مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَّ وَجَدَّ ، وَمَنْ قَرَعَ بَابًا  
وَلَجَّ وَلَجَّ ، وَمَنْ الْحَرِيرِيَّاتِ قَوْلُهُ : إِذَا بَاعَ انْبَاعَ ، وَإِذَا مَلَأَ  
الصَّاعَ انْصَاعَ ، فتجد الكلمة الثانية مُرَدِّفَةً على جهة التجانس  
ليكمل معناها وتُقرَّرَ فائدتها ، ومن النظم ما قاله البستي

أبا العباس لا تحسب لشيني

بأني من حلال الأشعار عار

فلي طبع كسلسال معين

زلال من ذرى الأحجار جار

إذا ما أكتب الأذوار زندا

فلي زند على الأذوار وار

ومن هذا ما قيل في الحريريات

بُنِيَ اسْتَقَمَ فَالْعُودُ تَنَمَّى عُرْوَةً

قَوِيماً وَيَنْشَأُهُ إِذَا مَا التَّوَى التَّوَى

وَلَا تَطْعُ الحَرْصَ المَذِلَّ وَكُنْ فَيَّ

إِذَا التَّهَيْتَ أَحْشَاؤُهُ بِالطَّوَى طَوَى

وَأَمَّا لُقْبُ هَذَا بِالْمَزْدُوجِ لِمَا يَظْهَرُ بَيْنَ الكَلِمَتَيْنِ مِنَ

الاسْتِواءِ ، وَمِنْهُ الازْدِوَاجُ ، وَهُوَ الاسْتِواءُ ، وَيُقَالُ لَهُ التَّجْنِيسُ

المُرَدَّدُ ، وَيُقَالُ لَهُ المَكْرَرُ أَيْضاً ، وَيَنْقَسِمُ إِلَى مَا يَكُونُ

الازْدِوَاجِ وَارِداً عَلَى جِهَةِ الانفِصالِ ، فِي الكَلِمَتَيْنِ جَمِيعاً ،

كَقَوْلِكَ : مَنْ جَدَّ وَجَدَّ ، وَمَنْ لَجَّ وَلَجَّ ، وَإِلَى مَا يَكُونُ

الازْدِوَاجِ وَارِداً عَلَى جِهَةِ الانفِصالِ فِي إِحْدَاهُمَا وَالِاتِّصالِ فِي

الأُخْرَى ، كَقَوْلِكَ إِذَا مَلَأَ الصَّاعَ انْصَاعَ ، وَكَلِأَيَاتِ الَّتِي

حَكَيْناها عَنِ البِستِيِّ

( الضرب السادس )

( المصحف )

وَهُوَ عِبارةٌ عَنِ الإِتيانِ بِكَلِمَتَيْنِ مُتَشابِهَتَيْنِ خَطأً لَا

لِفظاً ، وَيُقَالُ لَهُ تَجْنِيسُ الخَطِّ أَيْضاً ، وَمِثَالُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

تَعَالَى قَوْلُهُ ( وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ) وَمِنْ السَّنَةِ

النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : عليكم بالأبكار فانهنَّ أشدُّ حُبًّا  
وأقلُّ حُبًّا ، والخبُّ الخداع ، وقولُ أمير المؤمنين : قَصْرٌ من  
ثيابك فإنه أبقي وأتقى وأتقى ، ومنه قول البحترى يمدح  
المعتز بالله

ولم يكن المعتز بالله إذ شرى \* ليُعجزَ والمعتز بالله طالبه  
وانما لُقِّبَ ما هذا حاله بالمصحف ، لأن من لا يفهم  
المعنى فإنه يصحف أحدهما الى الآخر لأجل تشابههما في وضع  
الخط كما ترى ويقال له المرسوم أيضا ، ومن هذا قول بعضهم  
غَرَكَ عَزْكَ فَصَارَ فُصَارَى ذَلِكَ ذَلِكَ ، فَاخْشَ فَاخْشَ فِعْلِكَ ،  
فَعَلَّكَ بِهَذَا تُهْدَى ، وقوله في الحريريات فملت لمجاورته الى  
مُحَاوَرَتِهِ ، ولا يزكو بالخيف من يرغب في الخيف ، ومن ذلك  
ما قاله أبو فراس

من بحر شعرك أغترف      وبفضل علمك أعترف  
وغير ذلك

( الضرب السابع )

( المضارع )

وهو أن يجمع بين كلمتين هما متجانستان لا تفاوت

بينهما الابدحرف واحد سواء وقع أولًا أو آخرا أو وسطا  
حشواً ، والمضارعة المشابهة وسمى الضرعُ ضرعاً ، لانه يشابه  
أخاه في الصورة ، فلما تشابها في هذا الحرف لُقّب بالمضارع  
لما ذكرناه ، ثم يقع على وجهين ، الوجهُ الأول أن يقع الاتفاق  
في الحروف المتقاربة ، ومثاله قوله عليه السلام : الخيلُ معقودُ  
بنواصيها الخيرُ ، فاللام والراء متقاربان ، وفي الحريريات لهم  
في السير جرئُ السيل ، والى الخير جرئُ الخيل ، وقوله وبينى  
وبين كنيّ ليلِ دامس ، وطريقٌ طامس ، وقوله ويطنى حرّ  
بلبالي ، بسربال وسربال ، الوجه الثاني أن يقع في الحروف التي  
لا تقارب فيها ، ومثاله قوله تعالى ( فاذا جاءهم أمرٌ من  
الأمّن ) فالنون والراء متباعدان ، ومن ذلك قولهم : المكارمُ  
بالمكاره ، والتواضع شَرَكُ الشرف ، وفي الحريريات ولا  
أُعطي زمامي ، من يُخفِر ذِمّامي ، ولا أغرس الأيادي ، في  
أرض الأعدى ، ومن ذلك ما قاله البحترى  
أَلِمّا فات من تلاقٍ تلافٍ \* ام لِسائٍ من الصبا به سافِ  
وما هذا حاله يُقال له التجنيسُ اللاحق ، والتجنيس  
الناقص ، والأمرُ فيه قريبٌ بعد الوقوف على القيود التي يتميز  
بها عن غيره كما أشرنا إليه

(الضرب الثامن)

(المشوش)

وهو عبارة عن كل جنس من التجنيس يجاذبه طرفان من الصيغة ، ولا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه دون الآخر ، واشتقاقه من قولهم تشوش الأمر إذا مزج واختلط بعضه ببعض ، ومنه قولهم فلان متشوش ، إذا كان به مرض من اختلاط المزاج وتغيره ومثاله قولهم : فلان مليح البلاغة ، لبيق البراعة ، فلو اتفق العينان في الكلمتين وكانتا من حرف واحد لكان ذلك من تجنيس التصحيف أو كان اللامان متفقين لكان ذلك من المضارع ، فلما لم يكن كما ذكرناه بقي مذبذباً بين الأمرين ، ينجذب إلى كل واحد منهما بشبهه ، ومنه قولهم : صدّعتني صدّعتني فلولا تشديد النون لكان معدوداً من تجنيس المركب ، ومن الحريريات قوله وندمنا على ما ندّمنا

(الضرب التاسع)

(المعكوس)

وله في التجنيس حلاوة ويفيد الكلام رونقاً وطلاوة ،

وقد سماه قدامة الكاتب بالتبديل ، وكل واحد من اللقيين  
يصدق عليه ، لأن صاحبه يقدم المؤخر من الكلام ويؤخر  
المقدم منه ، فهذا لقبه بالعكس ، وهكذا فإنه يبدل  
الألفاظ فيقدم ما كان منها مؤخراً ويؤخر ما كان منها مقدماً ،  
ويقع في الألفاظ والحروف جميعاً فهذان وجهان ، الوجه الأول  
منهما أن يكون واقعاً في الألفاظ ، ومثاله قول بعضهم :  
عادات السادات ، سادات العادات ، وكقول الآخر شيم  
الأحرار أحرار الشيم ومنه قول الاضبط

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِهِ

ويأكلُ المالَ غيرُ مَنْ جمَعَهُ

ويقطعُ الثوبَ غيرُ لا بسِهِ

ويلبسُ الثوبَ غيرُ مَنْ قطعَهُ

ومن ذلك ما قاله الشريف المرتضى يذم الزمان وأهله

أَسَفٌ بَمَنْ يَطِيرُ إِلَى الْعَالِي وَطَارَ بَمَنْ يُسِفُ إِلَى الدُّنْيَا

وكقول الآخر

إِن اللَّيَالِيَّ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ

تَطْوَى وَتُنَشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ

فقصارهن مع الهموم طويلة

وطوالهن مع السرور قصار

ومن هذا قوله تعالى (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ

الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) وقوله صلى الله عليه وسلم: جَارُ الدَّارِ

أَحَقُّ بِدَارِ الْجَارِ، ومن ذلك ما قاله أمير المؤمنين كرم الله

وجهه من كتاب كتبه الى عبد الله بن العباس أمّا بعدُ فَإِنَّ

الإنسان يسره دَرْكُ ما لم يكن لِيَفُوتَهُ، ويسوءه فَوْتُ ما لم

يكن لِيُدْرِكَه، فلا تكن بما نلتَ من دنياك فَرِحاً، ولا بما

فانتك منها تَرِحاً، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل،

ويؤخِّرُ التوبة بطول أمل، قال ابن عباس ما انتفعتُ بكلام

بعد كلام الله تعالى مثل هذا الكلام، وأنا أقول أيضاً ما قرع

مسامعي مرّةً بعد مرّةٍ إلا وأحدث لي موعظةً، وأنشأ لي

عن الغفلة يقظةً، وحكى عن أبي تمام أنه لما قصد عبد الله

ابن طاهر بخراسان وامتدحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها

(هن عوادي يوسف وصواحيبه) أنكر عليه أبو سعيد الضرير

وأبو العميثل هذا المطلع، وقال له، مالك تقول ما لا تفهم

فقال لم لا تفهما ما يقال، فاستحسن منه هذا الجواب على

الفور، فهذا معكوس الألفاظ، الوجه الثاني أن يكون واقعاً

في الأحرف وهذا كقوله تعالى ( كلُّ في فلكٍ ) فما هذا  
معكوسه ومستويه متماثلان كما ترى ، وليس مما نحن به ، وإنما  
الذي نريد ذكره ههنا هو أن مستويه يفيد معنى ، ومعكوسه  
يفيد معنى آخر ، ومثاله ما قاله بعض الأذكيا من أهل الشعر

أهديت شيئاً يقلُّ لولا      أحدوثةُ الفال والتبرُّك  
كُرسي تفاعلتُ فيه لَمَّا      رأيتُ مقلوبه يسرُّك  
وهكذا قال غيره

كيف السرور بإقبالٍ وآخره

إذا تأملتُه مقلوبٍ إقبالٍ

وأراد أن مقلوبٍ إقبالٍ لا بقاءً ، ولقد صدق فيما قال فإنه  
لا سرور في الحقيقة بإقبالٍ آخره التغير والانتقال ، ومن  
هذا ما قاله بعضهم

جاذبتُها والريحُ تجذبُ عقرباً

من فوق خدِّ مثلِ قلبِ العقربِ

وظفقتُ الشِّمُّ نغرها فتمنعتُ

وتحجبتُ عني بقلبِ العقربِ

فقلبُ العقربِ الأول هو عبارة عن الكوكب الأحمر ،

وقلبُ العقرب الثاني هو عبارة عن البرقع، لأنه قلبه إذا  
قلبتَه إليه

﴿ الضرب العاشر تجنيس الإشارة ﴾

وهو أن لا يذكر أحد المتجانسين في الكلام ولكن  
يُشار إليه بما يدلّ عليه وهذا كقول بعضهم

حَلَقَتْ لِحْيَةَ مُوسَى بِاسْمِهِ وَبِهَرُونَ إِذَا مَا قَلْبًا

ولا شك أنك إذا قلبت هزون من آخره فهو يكون  
نوره، لكنه لم يذكر لفظ النوره ولكنه أشار إليها إشارة  
بقوله ( وبهرون إذا ما قلبا ) ومن ذلك ما قال بعضهم

وما أروى وإن كُرِّمَتْ علينا

بأذني من مَوْقِفَةٍ حَرُونَ

يُطِيفُ بِهَا الرِّمَاءُ فَتَتَّقِيهِمْ

بأوعالٍ مُعْطَفَةٍ القرون

فقوله ( أروى ) المذكورة في البيت هي المرأة وقوله  
موقفه حرّون ، يشير بها الى ( أروى ) الأوعال وأراد أن هذه  
المرأة التي اسمها ( أروى ) ليست بأقرب من التي في الجبال ،  
لكنه أعرض عن ذكرها ، فهذا ما أردنا ذكره في التجنيس

### ✽ الصنف الثاني الترصيع ✽

وهو في لسان علماء البيان مقولٌ على ما كان من المنظوم والمنثور من الكلام ، أَلْفَاظُ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ فِيهِ مَسَاوِيَةٌ لِأَلْفَاظِ الْفَصْلِ الثَّانِي فِي الْأَوْزَانِ وَاتِّفَاقِ الْأَعْجَازِ ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ تَاجٌ مُرْصَعٌ إِذَا كَانَ فِيهِ حَلِيَّةٌ ، وَالتَّرْصِيعُ التَّرْكِيبُ ، وَيُرَدُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى وَجْهَيْنِ ، الْوَجْهُ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ كَامِلًا ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ لَفْظَةٍ مِنَ الْفَاظِ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مَسَاوِيَةً لِكُلِّ لَفْظَةٍ مِنَ الْفَاظِ الْفَصْلِ الثَّانِي فِي الْأَوْزَانِ وَالْقَوَافِي مِنْ غَيْرِ مَخَالَفَةٍ لِأَحَدِهِمَا لِالثَّانِي فِي زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ ، وَمَا هَذَا حَالُهُ فَانْه يَعْزُ وَجُودُهُ ، وَقَلِيلًا مَا يَقَعُ فِي كَلَامِ الْبَلْغَاءِ لِصُعُوبَةِ مَأْخُذِهِ ، وَضَيْقِ مَسْلُكِهِ وَلَمْ يُوجَدْ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ مِنْهُ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاءَ بِالْأَخْفِ وَالْأَسْهَلِ ، دُونَ التَّعَمُّقِ النَّادِرِ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ أَخْرَسَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَ ، وَأَيْسَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ أَنْ يَأْتِيَ بِلَفْظَةٍ مِنَ الْفَاظِ أَوْ بِأَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْ سُورِهِ ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ يَوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُ ، وَمِثْلُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) وَهَذَا جَهْلٌ بِمَعْنَى التَّرْصِيعِ وَتَرْكِيبِهِ ، فَإِنَّ

الفجار لا يُماثل الأبرار في وزنه ، وهكذا قوله ( لني ) فإنه  
كررها في الفقرتين جميعاً ، فما هذا حاله فانما هو تجنيس ،  
وليس ترصيعاً ، وإنما يكون من الترصيع لو قال : إن الأبرار  
لني نعيم وإن الأشرار لمن جحيم ، فيكون الأشرار مقابلاً  
للفظ الأبرار ، والجحيم مقابلاً للنعيم ، ( ومن ) مقابلة ( لني )  
في الوزن والقافية ، فهو إنما يؤثر على جهة النُدرة على الشرط  
الذي ذكرناه ، فمن ذلك ما وقع في الحريريات من قوله :  
يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَواهِرِ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَواجِرِ  
وَعَظِهِ ، فجميع ما وقع في السجعة الثانية مطابق لما وقع في  
السجعة الأولى في الوزن والتقفية من غير زيادة ولا نقصان  
( فيقرع ) بإزاء ( يطبع ) ( والأسماع ) في مقابلة ( الأسجاع )  
( وزواجر ) بإزاء ( جواهر ) و ( وعظه ) في مقابلة ( لفظه )  
ومن ذلك ما قاله الشيخ عبد الرحيم ابن نباته الخطيب :  
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَاقِدِ أَرْزَمَةِ الأُمُورِ بِعِزِّ أَمْرِهُ ، وَحاصِدِ أُمَّةِ الغُرُورِ  
بِقَواصِمِ مَكْرِهِ ، ثم قال في أثناء هذه الخطبة أولئك الذين  
رَحَلُوا فَأَقَمْتُمْ ، وَأَفَلُوا فَجَمَعْتُمْ ، فما هذا حاله ترصيع بالمعنى  
الذي ذكرته من غير مخالفة ، ومن ذلك ما حكى عن ابن الأثير

في كلام له قال فيه : والحسن ما وشته فطرة التصوير ، لا ما حسنته فكرة التزوير ، ومن كلامه قوله من قوم أود أولاده ، ضرم كمد حساده ، وفي كلام ابن الأثير هينا نظراً ، لأن الأولاد ليس مماثلاً للحساد ، ومن ذلك ما قاله بعض العرب من أطاع غضبه ، أضاع أدبه ومن المنظوم ما قاله بعض الشعراء

فكارمٌ أوليتها متبرعاً      وجرائمٌ ألفتها متورعاً  
فقوله مكارم ، بازاء جرائم ، وأوليتها في مقابل ألفتها ، ومتبرعاً في مقابلة متورعاً ، فما هذا حاله لا يقع فيه نزاع بين أهل البلاغة في كونه معدوداً من باب الترصيع ، لاجتماع الفقرتين في الوزن والقافية ، الوجه الثاني ويقال له الناقص ، وهو أن يختلف الوزن وتستوى الأعجاز ، ومثاله قوله تعالى ، ( إن الأبرار لفي نعيمٍ وإن الفجار لفي جحيمٍ ) فاختلف الوزنين في الأبرار ، والذجار ، لا يخرجهم عن كونه ترصيعاً ، وهكذا ما حكى عن ابن نباتة من قوله : وموفقٍ عبيده لمغانم ذكره ، ومحققٍ مواعيده بلوازم شكره ، وقوله : أيها الناس أسيموا القلوب في رياض الحكم ، وأديموا النجيب على ايضاض

اللَّمَمُ ، وأطيلوا الاعتبارَ بانتقاصِ النعم ، وأجبلوا الافكارَ في  
انقراضِ الأُمَمِ ، فما هذا حاله لم تتفق فيه الأوزان ولكن  
استوت فيه الأعمجاز ، وكقول الخنساء في أخيها صخر

حَامِي الحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الطَّرِيقَةِ

مَهْدِي الخَلِيقَةِ نَفَّاعٌ وَضَرَّارٌ

جَوَّابٌ قَاصِيَةٌ جَزَّازٌ نَاصِيَةٌ

عَقَّادٌ أَلْوِيَةٌ لِلخَيْلِ جَرَّارٌ

ومن هذا قوله تعالى ( إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

حِسَابَهُمْ ) ومنه قول الآخر

سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا

مَحْضٌ ضَرَّائِبُهَا صِيغَتٌ مِنَ الكَرَمِ

فقوله ذوائبها ، وترائبها ، مختلفٌ في الوزن كما ترى ،

ومنه قول ذي الرمة

كَحَلَاءٍ فِي بَرَجٍ صَفْرَاءٍ فِي دَعَجٍ

كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

فهذا وأمثاله هل يكون معدوداً من الترصيع أم لا ؟

فالذي عليه الأكثر من أهل البلاغة كالمطرزي وعبد الكريم

صاحب البيان وغيرهما أنه لا محالة معدود منه. وإن كان مخالفاً في الزنة، فأما ابن الأثير فقد أبى عدّه منه، وزعم أنه لا يعدّ في الترصيع إلا الوجه الاول، والأمر فيه قريب، والمختار ما عليه الأكثر، لأنه لا يعدّ في التجنيس كما مرّ بيانه، وإذا بطل كونه تجنيساً وجب القضاء بكونه ترصيعاً إذ لا قائل بكونه خارجاً عن البابين

✽ الصنف الثالث التطبيق ✽

ويقال له التضادّ، والتكافؤ، والطباق، وهو أن يؤتى بالشيء وبضده في الكلام كقوله تعالى (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً) واعلم أن هذا النوع من علم البديع متفق على صحّة معناه وعلى تسميته بالتضادّ والتكافؤ، وإنما وقع الخلاف في تسميته بالطباق والمطابقة والتطبيق، فأكثر علماء البيان على تلقيبه بما ذكرناه، الا قدّامة الكاتب، فانه قال لقب المطابقة يليق بالتجنيس، لأنها مأخوذة من مطابقة الفرس والبعير لوضع رجله مكان يده عند السير، وليس هذا منه، وزعموا أنه يسمى طباقاً من غير اشتقاق، والأجود تلقيبه

بالمقابلة ، لأن الضدّين يتقابلان ، كالسواد والبياض ، والحركة  
والسكون ، وغير ذلك من الأضداد من غير حاجة الى تلقيبه  
بالطباق والمطابقة ، لأنهما يُشعران بالتماثل بدليل قوله تعالى  
( سَبَعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ) أى متساوياتٍ ، ومنه طابقتُ النعلَ ،  
أى جعلته طاقاتٍ مترادفاتٍ ، فأذن الأخلقُ تلقيبٌ هذا  
النوع بما ذكرناه من المقابلة ، ولا يلقب بالطباق كما قاله  
جوابُ البلاغة وتقادها البصيرُ والمهيمُنُ على معانيها وخرّيتها  
الخبيرُ قدامةُ بن جعفر الكاتب فإذا تمهدت هذه القاعدة  
فلنذكر كيفية التقابل في الكلام ، لأن الشيء ربما قوبل  
بضده لفظًا ، وربما قوبل بضده من جهة المعنى ، وتارة يُقابل  
بمخالفه ، ومرّة يُقابل بما يُماثلُه ، فهذه ضروب أربعة لا بد  
من تقريرها وتفصيلها بمعونة الله تعالى

﴿ الضرب الأول في مقابلة الشيء بضده ﴾

من جهة لفظه ومعناه ومثاله قوله تعالى ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ  
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ) فانظر الى هذا التقابل العجيب في هذه  
الآية ما أحسن تأليفه وأعجب تصريفه ، فلقد جُمع فيه بين

مقابلات ثلاث ، الأولى منها أمور بها والثلاث التوابع  
منه<sup>ي</sup> عنها ، ثم هي فيما بينها متقابلة أيضاً ، ومن ذلك قوله  
تعالى ( فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ) فهذا وما شاكلة  
فيه مقابلتان ، الضحك بالبكاء ، والقليل بالكثير ، ومن ذلك  
قوله تعالى ( لكيلاً تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما  
آتاكم ) فقابل الفرح بالحزن الى غير ذلك من الآيات  
الدالة على الأضداد ، ومنه قوله تعالى ( واعبدوا الله ولا  
تشرکوا به شيئاً ) فقابل الامر بالنعى وهما ضدان ، وقوله  
تعالى في قصة لقمان ( واقصد في مشيك واغضض من  
صوتك ) ثم قال ( ولا تصاعر خدك للناس ولا تمش في  
الأرض مَرَحاً ) فهناك عن المصاعرة ، والمشى في الارض  
مرحاً ، وأمره بالقصد في المشى والغض من الصوت ، الى أمثال  
له في القرآن كثيرة ، ومن السنة النبوية قوله صلى الله  
عليه وسلم خير المال عين ساهرة لعين نائمة ، فجمع فيه بين  
السهر والنوم وهما ضدان ، وأراد بالحديث أن أفضل  
الأموال هو هذه الأنهار الجارية فانها تجري ليلاً ونهاراً  
وصاحبها نائم ، لا يشعر بحالها ، ومن ذلك ما روته

عائشةُ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لها: عليكِ  
بالرفقِ يا عائشةُ، فانه ما كان في شيء الا زانه، ولا نزع من  
شيء الا شاناه، فجمع بين الزين والشين وهما ضدان، ومن ذلك  
ما ورد في كلام امير المؤمنين كرم الله وجهه قال في بعض  
خطبه: الحمد لله الذي لم يسبق له حالٌ حالاً، فيكون أولاً  
قبل أن يكون آخرًا، ويكون ظاهرًا قبل أن يكون باطنًا،  
كلٌ مسمًى بالوحدةٍ غيره قليلٌ، وكلٌ عزيزٌ غيره ذليلٌ، وكلٌ  
قويٌ غيره ضعيفٌ، وكلٌ مالكٌ غيره مملوكٌ، وكلٌ قادرٌ غيره  
يقدرٌ ويعجز، وكلٌ سميعٌ غيره يصمُّ عن لطيف الأصوات،  
ويُصبهُ كثيرها، وكلٌ بصيرٌ غيره يعنى عن خفيّ الألوان  
ولطيف الأجسام، وكلٌ ظاهرٌ غيره غيرٌ باطنٌ وكلٌ باطنٌ  
غيره غيرٌ ظاهر، فهذه مقابلات ثمانية قد جمع بينها في صدر  
هذه الخطبة مع ما فيه من السلاسة وجودة السبك، ومن  
ذلك ما قاله خطاباً لعثمان: إنَّ الحقَّ ثقيلٌ مرى، والباطل  
خفيفٌ وبى، وأنت رجل ان صدقتك سخطت وان كذبتك  
رضيت، فقابل الحق بالباطل، والثقل المرى بالخفيف  
الوبى والصدق بالكذب، والسخط بالرضا، فهذه خمس

مقابلات قد اشتمل هذا الكلام القصير الذي أناف على كل غاية في بلاغته ، ورقة لفظه وسلاسته ، وله عليه السلام من الطباق والجمع بين الأمور المتضادة خاصة في علوم التوحيد وأحوال القيامة شيء كثير ، وقال الحجاج بن يوسف حين أراد قتل سعيد بن جبير : فلما أُحضِرَ إليه أمر من كِبِه ، ثم قال مَنْ أَنْتَ فقال أنا سعيد بن جبير فقال له : بل انت شقِيٌّ بن كُسير فقابل سعيد بشقِيٍّ وجُبَيْرٍ بكُسير ، وكان الخبيث من المعدودين في الفصاحة ، والمشار إليهم في البلاغة ، ومن كلام البلغاء قولهم : من أقعدته نكايَةُ اللثام ، أقامتهُ إعانة الكرام ، ومن ألبسه الليل لونَ ظلمائه ، نزعهُ النهار عنه بضيائه ، ومن الحريريات قوله لا رُفِعَ نَعشُكَ ، ولا وُضِعَ عرشُكَ ، وقوله : ومن حكم بأن أْبْدُلَ وَيَحْزَنُ ، وألِينِ وَيَخْشَنُ ، وأذُوبِ وَيَجْمُدُ ، وأذْكَو وَيَجْمُدُ فهذه كلها نقائض قد جمعها ، وقال بعض وزراء الفرس لما مات الأمير : حرّ كنا بسكونه ، ومن ذلك ما قاله ابن الأثير في بعض رسائله قال فيه : صدرَ هذا الكتاب عن قلب مانوس بِلِقائِهِ وطرف مستوحشٍ لفراقهِ ، ومن المنظوم ما قاله البحترى

أما والذي أبكى وأضحك والذي  
أمات وأحيى والذي أمره الأمرُ

ومنه قول دعبل

لا تعجبي يا سلمُ من رجلٍ

ضحك الشيبُ برأسه فبكي

فانظر كيف جمع في الأول بين الضحك والبكا، وبين

الاحياء والإماتة، وفي الثاني بين الضحك والبكا لا غير، ومنه

ما قاله أبو تمام

ما إن ترى الأحسابَ يضاوضحاً

الابحيت ترى المنايا سودا

ومنه قول الفرزدق

قَبَّحَ الإلهُ بنى كليبٍ إنهم لا يَغْدِرُونَ ولا يَفُونَ بِجَارِ

ومن ذلك ما قاله أبو الطيب المتنبي والطباق قليل في

شعره قال

ثِقَالٌ إِذَا لَاقُوا خَفَافٌ إِذَا دُعُوا

كثيرون إذا شدوا قليلون إذا عدوا

فهذا ما يتعلق بهذا الضرب

### ﴿ الضرب الثاني ﴾

( في مقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه )

ومثاله قوله تعالى ( فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ) فقوله يهدي ويضل من باب الطباق اللفظي ، وقوله يشرح صدره مع قوله يجعل صدره ضيقا حرجا من الطباق المعنوي ، لأن المعنى بقوله يشرح يوسعه بالآيمان ويفسحه بالنور حتى يطابق قوله ضيقا حرجا وهكذا قوله تعالى ( فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ) فقوله كذب وصدق ، وقوله اليسرى والعسرى من باب الطباق اللفظي ، وقوله أعطى مع قوله بخل ، فإنما هو من الطباق المعنوي ، لأن المعنى في أعطى ، كرم ، ليطابق ( بخل ) في معناه دون لفظه ، ومن ذلك ما قاله البيهقي

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى

وَيَسْرِي إِلَى الشُّوقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

فقوله : لا أعلم مطابق لقوله ( أعلم ) من جهة معناه ، لان

معناه من حيث أجهل ، ومن التقابل في الأضداد من جهة  
المعنى قول أبي تمام

مَا الْوَحْشَ الْآنَ هَاتَا أَوْ أُنْسٌ

قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ

فأحدُ الإشارتين للحاضر ، وهو قوله ( هاتا ) وأحدهما  
للغائب وهو قوله ( تلك ) فالضدية حاصلة فيهما من جهة  
معناها ، ومن ذلك ما قاله المقنع الكندي من أبيات الحماسة  
لهم جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَابَعُ لِي غَنَى

وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمْ رِفْدًا

فهذا من الطباق المعنوي ، لأن قوله : إِنْ تَتَابَعُ لِي غَنَى ،  
معناه ان كثر مالى ، وعلى هذا يناقض قوله ( قلّ مالى )

### ﴿ الضرب الثالث ﴾

( فى مقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة )

وذلك يأتى على وجهين ، الوجه الأول منهما أن يكون  
أحدهما مخالفاً للآخر ، خلا أن بينهما مناسبة ، وهذا نحو  
قوله تعالى ( إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ  
يَفْرَحُوا بِهَا ) فالمصيبة مخالفة للحسنة من غير مضادة ، إلا ان  
المصيبة لا تقارب الحسنة ، وإنما تقارب السيئة ، لأن كل

مضية سيئة ، وليس كلُّ سيئة مضيةٌ ، فالتقاربُ بينهما  
من جهة العموم والخصوص ، وهكذا قوله تعالى ( أشدّاء على  
الكفّار رَحْمَاءٌ بينهم ) فإن الرحمة ليست ضدّاً للشدة ، وإنّما  
ضدُّ الشدة اللين ، خلاّ أنه لما كانت الرحمةُ من مسبّبات  
اللين ، حسنت المطابقة بينهما ، وكانت المقابلة لا ثقة ومن  
هذا ما قاله بعض الشعراء

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً

وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

فقابل الظلم بالمغفرة ، وليس ضدّاً لها ، وإنّما ضدّه  
العدل ، الآ أنه لما كانت المغفرة قريبةً من العدل من جهة أن  
العدل إنّصاف الغير بما يجب له أو يستحق عليه أو ترك ما لا  
يستحق عليه ، والعضو هو المغفرة وهو الصّفح والتجاوز ، وهو  
أعظم أنواع العدل وأعلاها حسنت المطابقة أيضاً ، الوجه الثاني  
ملا يكون بينهما مقاربةٌ وبينهما بُعدٌ لا يتقاربان ، ولا مناسبة  
بينهما ، ومثاله ما قاله أبو الطيب المتنبي

لَمَنْ تَطَلَّبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرَدِّبْهَا

سُرُورَ حُبِّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ

فالمقابلة الصحيحة أن تكون بين محبّ ومبغض، لا بين محبّ ومجرّم، فإن بين المحبّ والمجرّم تباعداً كبيراً، فانه ليس كلّ من أجرم اليك فهو مبغض لك، ومما يجرى هذا المجرى ما قاله بعض الشعراء

فكم من كريمٍ قد مناهُ إلهُ

بمذمومةِ الأخلاقِ واسعةِ الهنِّ

فقوله : بمذمومة الاخلاق واسعة الهن ، من باب المقابلة البعيدة التي لا مناسبة فيها وكان الأخلق ( بضيقه الاخلاق واسعة الهن )

﴿ الضرب الرابع المقابلة للشيء بما يماثله ﴾

وذلك يكون على وجهين : الوجه الأول منهما مقابلة المفرد بالمفرد ، وهذا كقوله تعالى ( وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ) وقوله تعالى ( وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ) وقوله تعالى ( هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ) وقوله تعالى ( مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ) وغير ذلك من الامور المفردة وانما أوردنا ما ذكرناه في أمثلة المفردات ، لأن كل ما ذكرناه في الأمثلة إما مبتدأ وخبرٌ كقوله تعالى ( وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

مثلها) وإِما شَرَطُ ومَشْرُوط كقوله تعالى ( مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ  
كَفْرُهُ ) وكله معدودٌ في حيز المفردات ، فلماذا عددناه في  
قسم المفرد ، فضابط المائلة أن كلّ كلام كان مفتقراً الى  
الجواب ، فإنّ جوابه يكون مماثلاً كما قررناه ، وإن كان غير  
جوابٍ جاز وروده من غير مماثلة لفظية ، ولهذا ورد قوله  
تعالى ( مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كَفْرُهُ ) ولو قال من كفر فعليه جرّمه ،  
جاز ذلك ، لكن الاحسن المائلة كما اسلفناه فأما اذا كان  
وارد في غير جواب ، فانه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية ومثاله  
قوله تعالى ( وَوَفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَّا يَفْعَلُونَ )  
ولو أراد المشاكلة اللفظية لقال : وهو أعلم بما يعملون ، لأن  
العمل والفعل مستويان من جهة المعنى ، وهكذا قوله تعالى  
( وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَا اللَّهِ وَايَاتِهِ  
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ) لأن الخوض واللعب هما من جهة  
المعنى استهزاءً بالله وإِعْرَاضٌ عن أمره وأمر رسوله ، ولو أراد  
المشاكلة لقال: أفى الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون ،  
فهذا ما يتعلق بالمفرد ، الوجه الثاني مقابلة الجملة بالجملة وهذا  
كقوله تعالى ( وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ )  
وقوله تعالى ( وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ) وقوله

تعالى ( قَلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ) والجملة  
الشرطية مترددة بين عدتها في باب المفرد والجملة ، فإن عدت  
في المفردات فلأنها وإن كانت جملاً لكنها قد نقصت عن  
الاستقلال بعقد حرف الشرط لها عقداً واحداً ، وإن عدت  
في الجملة فلأن الظاهر من الشرط والجزاء جملتان ، فلما كان  
الأمر كما قلناه جاز فيها الوجهان ، وقد تكون الجملتان  
ما ضيتين ، أو مضارعتين ، أو تكون الأولى مضارعة ، والثانية  
ما ضية ، وبالعكس من هذا ، وأمثلة ذلك موجودة في القرآن  
كثيرة فهذا ما اردنا ذكره في المقابلة

﴿ تنبيه ﴾

اعلم أننا لما فرغنا من تقسيم المقابلة وبيان أمثلتها فلنذكر  
على أثره الكلام في المواخاة بين المعاني ، والمواخاة بين  
الالفاظ ، فأما المواخاة اللفظية فانه ينبغي ويحسن مراعاتها ،  
كالإفراد والتثنية والجمع وغير ذلك من الأحكام اللفظية ، فإذا  
كان الأول مفرداً استحب في مقابله أن يكون مفرداً مثله ،  
وهكذا إذا كان مجموعاً ، ومن ثم عيب على أبي تمام قوله في  
وصف الرماح

مُثَقَّفَاتٍ سَلَبْنَ الْعُرْبَ سُمْرَتَهَا

وَالرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْعَاشِقَ الْقَصِيفًا

فلما ذكر العرب والروم كان الأخلق به ان يقول  
(والعشاق) ليوافق الأول في كونها جموعا كلها، وكذلك لما  
ذكر الزرقة والسمره كان الأولى أن يقول (دقتها) أو يقول  
(قصفها) ليطابق ما سبق من ذلك وهكذا ورد في قول  
ابى نواس في وصف الخمر قال

صفراء مجدها مرآزبها جلت عن النظراء والمثل

فجمع ثم افرد في معنى، فكان الأحسن أن يقول  
(والامثال) ليطابق النظراء، أو يقول (النظير) ليطابق  
(المثل) وهكذا ورد قوله أيضا على مثل ذلك

الا يا ابن الذين فنوا فماتوا أما والله ما ماتوا لتبقي  
وما لك فاعلمن فيها مقام إذا استكملت آجالاً ورزقاً

وكان الأحسن أن يقول: إما أجالاً ورزقاً فيفردهما  
جميعاً، وإما أن يقول: آجالاً وارزاقاً، فيجمعها جميعاً من  
غير مخالفة بينهما، وهذا الذي ذكرناه من هذه المراعاة ليست  
على جهة الوجوب، بل المراد من ذلك طريقة الحسن والإعجاب،

ولهذا ورد في كتاب الله تعالى كقوله تعالى ( طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ) وقوله تعالى ( شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَجَلَدُهُمْ ) وقوله تعالى ( خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ) فلو كان ركيكا لما ورد في القرآن، وهو أفصح الكلام كله، هذا كله في اعتبار المؤاخاة اللفظية، وأما المؤاخاة المعنوية فهي واردة في القرآن كثيرا، وهذا إنما يكون في فواصل الآي، فانها تأتي مطابقة على ما سبق من معنى الآية ومثاله قوله تعالى ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبُغُ الْأَرْضَ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ) وكقوله تعالى ( لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهَوَّ الْغَنِيِّ الْحَمِيدُ ) وقوله تعالى ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ الْأَبْدَانُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ) فالآية الأولى إنما فصلها بقوله ( لطيف خبير ) لما فيه من المطابقة لمعناها، لأنه ضمنها ذكر الرحمة للخلق بإنزال الغيث لما فيه من المعاش لهم ولأنعامهم، فكان لطيفا بهم خيرا بمقادير مصالحهم، وأما الآية الثانية فانما فصلها بقوله

الغنى الحميد ، ليطابق ما أودعه فيها ، لأنه لما ذكر أنه مالكٌ لما في السموات والارض لا حاجة ، قابله بقوله هو الغنى ، أى عن كل شئ لأن كل غنى لا يكون نافعا بغيره الا اذا كان جوادا به منعا على غيره فإنه يحمده المنعم عليه ، فذكر (الغنى) ليدل به على كونه غير مفتقر اليها ، وذكر (الحميد) لئلا كان جوادا بها على خلقه ، فلا جرم استحق الحمد من جهتهم ، وأما الآية الثالثة فإنما فصلها (برعوف رحيم) لأنه لما عدد جلائل نعمه وكانت كلها مسخرة مدبرة وكانوا لولا رحمته متعرضين بصددها لمتألف عظيمة من الأهوال البحرية والآفات السماوية ، فلما كانت في أنفسها متعرضة لهذه الأمور عقبها بذكر الرأفة والرحمة لينبه على كمال لطفه وعظيم رحمته بالخلق ، وهكذا القول في سائر الفواصل القرآنية ، فإنك لا تزال تطلع منها على فوائد مناسبة لتلك الفاصلة كما أشرنا إليه

### \* الصنف الرابع رد العجز على الصدر \*

أعلم أنا قد ذكرنا الاشتقاق فيما سلف وقررنا أسرارها ، فأما رد العجز على الصدر فظاهر كلام المطرزي وعبد الكريم صاحب التبيان أن أحدهما مخالف للآخر ، ولهذا أفردا

لكل واحد منهما بابا على حiale ، وكلاهما معدود في علم  
البديع ، والذي عندي أنهما متقاربان ، وأن ردّ العجز على  
الصدر أعمّ من الاشتقاق ، لأن ردّ العجز على الصدر كما يرد  
في مختلف اللفظ ، فقد يكون واردا في التساوي ، بخلاف  
الاشتقاق ، فإنه إنما يكون واردا فيما اختلف لفظه وبينهما  
جامع في الاشتقاق وقد مرّ فلا وجه لتكريره ، والذي تتعرض  
لذكره إنما هو ردّ العجز على الصدر كما تقرره بمعونة الله ، وهو  
واردٌ في النظم تارة ، وفي النثر أخرى ، ويأتي على ضرب

(الضرب الاول) أن يكون الصدر والعجز متفقين في  
الصورة ، وهذا كقوله تعالى ( وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ  
تَخْشَاهُ ) وقوله تعالى ( لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ  
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ) ومن كلام البلغاء : الحيلة  
تركُ الحيلة ، وقولهم : القتلُ أنفى للقتل ، وفي الحريريات :  
وتحمي عن المنكر ولا تتحاماها ، ومن النظم ما قاله بعض الشعراء

سُكْرَانِ سُكْرُ هَوَى وَسُكْرُ مُدْمَةٍ

أَنِي يُفِيقُ فَيُّ بِهِ سُكْرَانِ

(الضرب الثاني) أن يتفقا صورة ويختلف معناهما ، وهو

يأتي أحسن من الأول وأدخل في الاعجاب ، وهذا كما قاله  
بعضهم

يَسَارٌ مِنْ سَجِيَّتِهَا الْمَنَائِيَا وَيُمْنَى مِنْ عَطِيَّتِهَا الْيَسَارُ  
فاليسار الأول هو الجارحة ، واليسار الثاني من الميسرة ،  
وهو تقيض الإيسار

(الضرب الثالث) أن يتفقا في المعنى ويختلفا صورة ،  
وهذا كقول عُمرَ ابن أبي ربيعة القرشي

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً      إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ  
وقال آخر

تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَى سَلِيمًا وَمَالِكًا  
عَلَى سَاعَةٍ يُنْسِي الْجِمَامَ الْأُمَانِيَا  
فقوله تمنيت مع الأمانى متفقان في المعنى مختلفان في  
الصورة كما ترى

(الضرب الرابع) ان يتفقا في الاشتقاق ويختلفا في  
الصورة ، وهذا مثاله ما قاله بعض الشعراء

ضَرَائِبُ أَبْدَعَتَهَا فِي السَّمَاءِ  
ح فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيْبًا

ومنه قول جرير

أَخْلَبْتِنَا وَصَدَدْتَ أُمَّ مُحَلَّمٍ أَفْتَجْمَعِينَ خِلَابَةً وَصُدُودًا  
(الضرب الخامس) أن لا يلتقيا في الاشتقاق ويتفقا في

الصورة ، وهذا كقوله في الحريريات

وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى جَرِّي العِنَانِ إِلَى

مَلْهَى فَسُحْقًا لَهُ مِنْ لَا تُحِ لَاحِ

لأنَّ قوله (١) لَاحِ بالشئ ، إذا ذهب به ، فالأول بمعنى

الذهاب ، وقوله بعد ذلك لَاحِ اسم فاعل من قَوْلِهِمْ لَحَاهُ إِذَا

ذَمَّهُ ، وَلَحَاهُ إِذَا نَازَعَهُ الأَمْرَ ، فالصدر من ذوات الثلاثة ،

والمعجز من ذوات الأربعة (٢)

(الضرب السادس) أن يقع أحدُ اللفظين في حشو

المصراع الأول من البيت ثم يقع الآخر في عجز المصراع الثاني

وما هذا حاله يقع على أوجه ثلاثة ، أولها أن يكونا متفقين

صورةً ومعنى ، وهذا كقول أبي تمام

وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ العِلْمِ شَيْئًا مِنْ الأَشْيَاءِ كَلِمَالِ المُضَاعِ

(١) هذا غلط. وإنما لَاحِ . بمعنى ظهر

(٢) هذا غلط واضح

وثانيها أن يقعا على هذا الحد ، ويتفقا صورة لا معنى ،  
ومثاله قول من قال

لا كان انسان تيمم صائدا صيد المها فاصطاده إنسانها

وثالثها أن يقعا على هذه الصفة لكنهما يتفقان معنى ،

ويختلفان من جهة الصورة ، ومثاله قول امرئ القيس

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

وفي الحريريات

ولو استقامت كانت الـ أحوال فيها مستقيمة

(الضرب السابع) أن تقع إحدى الكلمتين في آخر

المصراع الأول موافقة لما في عجز المصراع الثاني ، ومتى كان

الأمر كما قلناه فهو على وجهين ، أحدهما أن تكون الموافقة

في المعنى والصورة ، ومثاله ما قاله أبو تمام في بعض مدائحه

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً

فما زلت بالبيض القواضب مغرماً

فالغرام بالشئ ، الولوع به ، وهما متفقان في هذا المعنى

كما ترى مع اتفاقهما في الصورة والبناء . وثانيهما أن تكون

الموافقة بينهما في الصورة دون المعنى ، ومثاله ما ورد في

الحريريات

فَشْفُوفٌ بِآيَاتِ الْمَثَانِي وَمَفْتُونٌ بِرَنَاتِ الْمَثَانِي  
فَالْمَثَانِي الْأُولُ هُوَ آيَاتِ الْفَاتِحَةِ ، وَسُمِّيَتْ مَثَانِي لِأَنَّهَا  
تَشْتَبِهُ فِي الصَّلَاةِ وَالْمَثَانِي الثَّانِي ، هُوَ مَا يُشْتَبِهُ مِنَ الْأُوتَارِ  
(الضرب الثامن) أَنْ يَلَاقِيَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ الْآخَرَ فِي

الاشتقاق ويخالفه في الصورة ، ومثاله قول البحتری

فَفَعَلْتُكَ أَنْ سَأَلْتَنَا مُطِيعٌ

وَقَوْلِكَ إِنَّ سَأَلْتَنَا مُطَاعٌ

فكلاهما مشتق من الطاعة ، لكن الأول اسم فاعل

من أطاع ، والثاني اسم مفعول من أطاع أيضاً

(الضرب التاسع) أَنْ يَقَعَ أَحَدُهُمَا فِي أَوَّلِ الْمَصْرَاعِ الثَّانِي

مُؤَافِقًا لِمَا فِي عَجْزِهِ صُورَةً وَمَعْنَى ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ

وَأَنْ لَمْ يَكُنِ الْإِمْعَاجُ سَاعَةً

قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

فَالْقَلِيلُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي مُسْتَوِيَانِ فِي لَفْظِهِمَا وَمَعْنَاهُمَا ،

وَلَا يَقْدَحُ كَوْنُ أَحَدِهِمَا مَعْرِفَةً وَالْآخَرَ نَكْرَةً فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ،

فَإِنَّ ذَلِكَ بِمَعْزِلٍ عَمَّا نُرِيدُهُ فِي الْمِثَالِ

(الضرب العاشر) أَنْ يَكُونَا مُشْتَبِهَيْنِ فِي الْاِشْتِقَاقِ

لَفْظًا ، وَالْمَعْنَى بِخِلَافِهِ ، وَمِثَالُهُ مَا وَرَدَ فِي الْحَرِيرِيَّاتِ وَهُوَ قَوْلُهُ

ومُضْطَلَعٌ بِتَلْخِيسِ الْمَعَانِي وَمُطَّلَعٌ إِلَى تَخْلِيسِ عَانِي  
فالمعاني الأول، اشتقاقها من عَنَاه الأمر يعنيه إذا ألم به  
بقلبه، ولامه ياء كما ترى، والمعاني الثاني، اشتقاقه من عَنَا يعنو  
إذا هلك والعناء هو الهلاك، ولامه واو فهما يشتبهان في اللفظ،  
وبينهما ما ترى من المخالفة وقوله مضطلعٌ، وزنه (مفتعلٌ)  
من قولهم اضطلع الأمر، إذا نهض به وقوله (مطلع) وزنه  
(مفتعلٌ) من اطلع على الشيء إذا أشرف عليه، فهذا ما أردنا  
ذكره في كيفية رد العجز على الصدر على هذه الكيفيات  
المختلفة، وقد عدّ علماء البيان في ذلك أنواعا كثيرة لم ترد في  
كلام البلغاء فأعرضنا عن ذكرها كما أعرض عنها غيرنا من  
أرباب هذه الصناعة وبالله التوفيق

﴿ الصنف الخامس لزوم ما لا يلزم ﴾

ويقال له الإِغْنَاتُ، ويرد في المنظوم والمنثور من الكلام،  
ومعناه في لسان علماء البيان أن يلزم الناظم قبل حرف الرويِّ  
حرفا مخصوصا، أو حركةً مخصوصة من الحركات قبل حرف  
الروي أيضا، وهكذا القول في الرِّدْفِ، فانه يجعله على حدِّ  
حرف متماثلٍ، وهكذا إذا ورد في النثر يكون على هذه

الطريقة كما سنوضحه بالأمثلة ، فحاصلُ الأمر في لزوم ما لا يلزم ، هو أن يلتزم حرفاً مخصوصاً قبلَ حرف الروى من المنظوم أو حركة مخصوصة ، فما هذا حاله إذا التزمه النائر أو الناظم فهو إعناتٌ لنفسه وكدٌّ لقريحته وتوسُّعٌ في فصاحته وبلاغته ، وإن خالفه فلا عيبَ عليه في ذلك ، وكان له في تغييره مندوحةٌ بخلاف ما إذا كان قبل حرف الروى ردفاً وهو الواو والياء ، فإن ما هذا حاله لا يجوز تغييره إلى غيرد ، فلا يقال إنه من باب لزوم ما لا يلزم ، بل لازمٌ للنائر والناظم أن يأتي به على حاله ، خلافاً أنه يجوز معاينة الواو للياء ، ومعاينة الياء للواو ولا يجوز معاينة الألف لهما ، فعلى هذا يجوز عمودٌ ، وشديدٌ ، ولا يجوز ميعادٌ ، في تقابل الأسجاع ، ولهذا جاء قوله تعالى ( إِنْ الْإِنْسَانُ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ) فحرف الرِّدْفِ ليس من باب لزوم ما لا يلزم ، بل هو لازم بكل حال ، فاذا عرفت هذا فلنورد أمثله لينكشف أمره ، فما جاء منه في التنزيل قوله تعالى ( وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ) وقوله تعالى ( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ )

من علق) وقوله تعالى (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن  
ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)  
وقوله تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر  
مخضودٍ وطلح منضودٍ) وقوله تعالى (فإن انتهوا فإن الله  
بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم  
المولى ونعم النصير) وقوله تعالى (يا أبت إني أخاف أن  
يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال  
أراغب أنت عن آلهي يا إبراهيم إن لم تنته لأرجمك  
واهجرني مليا) وهذا الأسلوب في القرآن على القلة ، وما  
ذاك إلا لأنه غير لازم من الاتيان به في البلاغة والفصاحة ،  
وقد عاب ابن الأثير على من قال إن قوله تعالى (إن المتقين  
في جناتٍ ونعيمٍ فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب  
الجبهم) من باب لزوم ما لا يلزم لما ذكرناه ، من أن حرف  
الروى يجب التزامه بكل حال على النائر والناظم ، فلا يعد من  
هذا الباب ، وإنما يعد قوله تعالى (قال قرينه ربنا ما أطغيته  
ولكن كان في ضلالٍ بعيدٍ قال لا تختصموا لدي وقد قدمت  
إليكم بالوعيد) وهذا بعينه يعد في أمثلة لزوم ما لا يلزم ،

ومن السنّة النبوية قوله عليه السلام فإن كان كريماً أكرمك  
وإن كان لثيماً أسلمك ، ومن ذلك قوله : وليُحسِن عمله ،  
وليُقصر أمله ، وقوله صلى الله عليه وسلم فلا يُغنى عنكم إلا عملٌ  
صالحٌ قد تمّموه أو حسنٌ ثوابٍ حرّموه ، وقوله : تُبوءهم  
أجداً لهم وتأكل ترائهم وقوله : حسنت خليقته وصلحت  
سيرته ، وقوله : إن أفضل الناس عبدٌ أخذ من الدنيا  
الكفاف ، وصاحبٌ فيها العفاف ، ومنه قوله : في صفة الدنيا  
واهجرُوا لذيدَ عاجلها لكريمه آجلها ، الى غير ذلك من  
الامثلة الواردة في كلامه ، ولا تكاد توجد في السنّة الا على  
القلة كما ذكرنا أنه في القرآن قليل ، ومن طلبه فيها وجدده ،  
ومن كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه في مثاله ، وكلامه مملوءٌ  
منه ، منه في صفة الموت فكان قد أتاكم بغتةً ، فأسكت  
نحيبكم وفرّق نديبكم ، وعفى آثاركم ، وعطل دياركم ، وبعث  
وراثكم يقتسمون تراثكم ، وقال في صفة التقوى : وهي  
عتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة ، ومن ذلك قوله :  
واعلموا أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل ، واللسان عن  
الصدق قليل ، واللازم للحق ذليل ، وقال في خطبة : لا تدركه

الشواهد ، ولا تخويه المشاهد ، وقوله في وصف الفتنة وأهلها:  
قوم شديدٌ كلبهم ، قليلٌ سلبهم ، وقوله عليه السلام في صفة  
الدنيا : قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدرِ المنضود ،  
وصادفتموها والله كالطالح المنضود ، ومن ذلك ما ورد في كلام  
البلغاء وهذا كقول عمر رضى الله عنه : ولا يكن حُبُّك  
كَلْفًا ، ولا بُغْضُك تَلْفًا ، ومن ذلك ما قاله ابن الأثير في ذم  
رجل يُوصَف بالجبين : اذا نزلَ به خطبٌ ملكه الفرق ،  
واذا ضلَّ في أمرٍ لم يؤمن الا اذا أدرَكَه الفرق ، فمراعاةُ  
الراء قبل القاف من باب لزوم ما لا يلزم كما قررناه أولاً ،  
ومن ذلك قوله ايضا في كتاب الى بعض إخوانه : الخادم  
يُهْدَى من دعائه وثنائه ما يسلك أحدهما سماءً والآخر  
أرضاً ، ويصون أحدهما نفساً والآخر عرضاً ، فالتزام الراء  
قبل الضاد لزوم ما لا يلزم ، ومن ذلك ما قاله في كتاب آخر  
له : ومهما شدَّ به عضد الخادم من الإِنعام فانه قوةٌ لليد التي  
خولته ، ولا يقوى تصعدُ السحب الا بكثرة غيثها الذي  
أنزلته ، وغير خافٍ أنَّ عبيدَ الدولة لها كالعمد من طرافها ،  
ومركز الدائرة من أطرافها ، ولا يؤيد السيف الا بقائمه ، ولا

ينهض الجناح الا بقوادمه ، فهذه الفواقر كلها من باب لزوم  
مالا يلزم ، ومن ذلك ما قالته امرأة لقيط بن زُرارة  
تثني عليه بعد قتله ، واستخلافها لغيره إنه خرج يوما وقد  
تَطَيَّبَ وشَرِبَ فطردَ البقر وصرعَ منها ، ثم أتاني وبه نضحُ  
دمٍ فضمتني ضمةً ، وشممتني شمةً ، فليتني ميتٌ ممتهً ، فهذا  
الكلام من الباب الذي نحن بصدده ، ومن المنظوم ما قاله ابن  
الرومي وكان من أكثر الناس ولعاً بلزوم مالا يلزم في أشعاره

لِما تُؤذِنُ الدنيا به من ضروفها

يكونُ بكاءُ الطفلِ ساعةً يُولدُ

وإِلاَّ فما يُنكبه منها وإِنَّه

لَأَوْسَعُ مما كان فيه وأرغَدُ

إِذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنَّه

بها سوف يلتقي من أذاها يُهددُ

فالتزام حركة الفتح قبل حرف الروي من باب لزوم

مالا يلزم كما مر تقريره وقال المعري

ضحكنا وكان الضحك مناسفاهةً

وحق لسكان البسيطة أن يبنكو

يُحَطِّمُنَا صَرْفُ الزَّمَانِ كَأَنَّا  
دُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادِلُهُ السَّبَبُ

وقال في الحريريات

مَنْ ضَامَهُ أَوْ ضَارَهُ دَهْرُهُ

فليقصد القاضى فى صعده

سماحة أزرى بمن قبله

وعدله أتعب من بعده

وهذا وأمثاله من باب لزوم مالا يلزم فى الحركة والحرف

جميعاً كما ترى ، ومن أبيات الحماسة قوله

ان التى زعمت فؤادك ملها

خلقت هواك كما خلقت هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها

بلباقة فادقها وأجلها

حجبت تحيتها فقلت لصاحبي

ما كان أكثرها لنا وأقلها

فاذا وجدت لها وساوس ساوة

شفع الفؤاد الى الضمير فسلاها

### ﴿ الصنف السادس في ذكر اللف والنشر ﴾

وهو في لسان علماء البيان عبارة عن ذكر الشئتين على جهة الاجتماع مطلقين عن التقييد ثم يوفى بما يليق بكل واحد منهما اتكلاً على أن السامع لوضوح الحال يردّ الى كل واحد منهما ما يليق به ، وهو في الحقيقة جمع ثم تفريق ، واشتقاقهما من قولهم : أفّ الثوب اذا جمعه ، ونشر الثياب اذا فرّقها ، ومنه قوله تعالى ( وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ) أي يفرّقها في عباده على قدر ما يعلمه من الصلاح ، ومثاله من التنزيل قوله تعالى ( وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ) فجمع بين الليل والنهار بواو العطف ، ثم بعد ذلك أضاف الى كل واحد منهما ما يليق به ، فأضاف السكون الى الليل ، لأنّ حركات الخلق تسكن ليلاً لأجل النوم ، ثم قال بعد ذلك ( وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ) أضافه الى النهار ، لأنّ ابتغاء الارزاق إنما يكون نهاراً بالتصرف والاضطراب ، واكتفى في الاضافة بما يعلم من ظاهر الحال ، وهو أنّ السكون مضاف الى الليل ، لما فيه من الاستراحة بترك التصرفات ، وأنّ الابتغاء مضاف الى النهار لما يظهر فيه من الحركة ، ولم

يقل جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار لتبتغوا من فضله ،  
إِشَاراً لما يظهر في الألف بعده النشر ، من البلاغة وحسن  
التأليف ، ومنه قوله تعالى ( وَقَالُوا أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ  
كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ) فقوله وقالوا أراد به اليهود والنصارى  
فجمعهما في الضمير ولفهما بذكره ، ثم إنه نشرهما بعد ذلك  
بقوله ( مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ) والتقدير فيه وقالت اليهود  
لن يدخل الجنة إلا مَنْ كان هودا ، وقالت النصارى لن يدخل  
الجنة إلا من كان نصرانيا ، فجمعه بما ذكرنا ، ثم فصله ولم  
يقل ذلك كل واحد من الطائفتين ، بل أراد التكرير كما  
أشرنا إليه ، ومن السنة النبوية قوله صلى الله عليه وآله : فَإِنَّ  
الْمَرْءَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ يَوْمٌ قَدْ مَضَى أُحْصِيَ فِيهِ عَمَلُهُ فَحَتَّمْ عَلَيْهِ . وَيَوْمٌ  
قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ ، فقوله بين يومين ، يكون  
من الألف ، لاشتمالها على ما يكون ماضياً ومستقبلاً ، وهذه  
هي فائدة اللف ثم إنه نشرهما بعد ذلك بقوله : يوم قد مضى  
أحصى فيه عمله ، فهذا يتناول الماضي ، ويوم قد بقي لا يدري  
ما يفعل فيه ، وهذا يتناول المستقبل ، فهذه هي حقيقة اللف  
والنشر كما قررناه ، ولو لم يُرِدِ الألف والنشر لقال فيه : ان المرء  
بين يومين يوم قد مضى ويوم قد بقي ، وهو اذا كان على هذه

الصورة لم يكن من هذا الباب في ورْدٍ ولا صَدَرٍ، ومن هذا قوله صلى الله عليه وآله: وقد رأيتُم الليلَ والنهارَ كيف يُبليان كلَّ جديدٍ، ويُقَرَّبان كلَّ بعيدٍ، ويأتیان بكل موعودٍ، فلفَّ الليل والنهار جميعاً، ثم فصلَّ أحكامهما بعد ذلك، وهذا انما يكون لفاً ونشراً اذا كان بلياً أحدهما مخالفاً لبلي الآخر، وهكذا حال التقريب، فأما اذا تماثلا فليس منه، وفيه تعسفٌ، والأحقُّ في المثال غيره، ولو لم يُرد اللف والنشر لقال: وقد رأيتُم الليل كيف يبلي كلَّ جديدٍ ويقرب كلَّ بعيدٍ ويأتي بكل موعودٍ، ورأيتُم النهار كيف يُبلي كلَّ جديدٍ ويقرب كلَّ بعيدٍ ويأتي بكل موعودٍ لم يكن من باب اللف والنشر، ومن ذلك قوله عليه السلام انما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدَى ثلاثٍ، إما من شبهةٍ في الدين ارتكبوها، أو شهوةٍ للذةٍ آثروها، أو عصبيةٍ لجميةٍ أعملوها، فاذا لا حثَّ لكم شبهةٌ فاجلوهما باليقين، واذا عرضتَّ لكم شهوةٌ فاقمعوها بالزهد، واذا عنتَّ لكم عصبيةٌ فاذروها بالعفو، فانظر أيتها المتأمل ما حواه هذا الكلام من لطائف الإجمال والتفصيل، واشتمل عليه من محاسن اللف والنشر، ومن تأمل كلامه عليه السلام وجد فيه ما يكفي ويشفي من ذلك. ومن كلام

أمير المؤمنين كرم الله وجهه قوله : وما أعدَّ اللهُ للمطيعين  
منهم والعصاة من جنةٍ ونارٍ وكرامةٍ وهوانٍ ، فقواه للمطيعين  
والعصاة هذا هو اللف وقوله من جنة ونار أراد الجنة لأهل  
الطاعة والنار لأهل المعصية وقوله وكرامة وهوان ، أراد  
الكرامة لأهل الطاعة والهوان لأهل المعصية ، فما هذا حاله  
يطلق اتكالا على قريحة السامع في رد كل شيء الى ما يليق  
به ، ومن ذلك قوله عليه السلام الناس ثلاثة ، عالم رباني ،  
ومتعلم على سبيل نجاته ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ،  
فأشار بقوله ثلاثة الى اللف ، ثم نشره بعد ذلك بما أشار اليه  
من التفاصيل ، ومن الأمثلة في المنظوم ما قاله بعض الشعراء  
الست أنت الذي من وردِ نعمته

ووردِ حشمته أجنبي وأغترف

فقوله : أجنبي وأغترف ، نشره لما تقدم من اللف فقوله  
أجنبي ، بيان للورد الذي استعاره للنعمة ، وقوله أغترف  
بيان للورد الذي استعاره للحشمة ، ومن الحرييات قوله  
وبنوهاً ومغانيهم نجوم وبروج ، فالنجوم للابناء ، والبروج  
للمغاني . وقوله

وكم من قارئٍ منها وقارئٍ  
أضراً بالجفونِ وبالْجفانِ

فقوله بالجفون ، راجعٌ الى القارئِ لما يحصل من الخشوع  
ولين القلب بقراءته ، وقوله بالجفان ، راجعٌ الى القارئِ من  
القري ، فلفهما أولاً ، ثم نشرهما بعد ذلك . ومن ذلك ما قاله  
ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم  
في الحادثات اذا دجّونَ نجومُ  
فيها معالمٌ للهدى ومصالحٌ  
تجلو الدجى والأخرياتُ رجومُ

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث  
وأوله الصنف السابع  
التخييل